إبحث

النهار

أدب، فكر، فن

جنان مكي باشو نحتاً بالحديد وتجهيزاً في "صالة صالح بركات" كم أحببتُ "حضارة" هذه المشهدية التشكيلية القيامية!

إقرأ هذا الخبر على موقع النّهار: http://newspaper.annahar.com/article/517642

عقل العويط

4 كانون الثاني 2017

معرض جنان مكي باشو في "صالة صالح بركات"، كليمنصو، الحمراء، المستمر إلى السابع من كانون الثاني، يستحق المشاهدة، مثلما يستحق استمرار العرض إلى أجل أبعد. بشظايا العدوان الإسرائيلي التي أصابت بيتها في كورنيش المزرعة، في العام 1983، وبمواد حديد أخرى مختلفة، أنجزت معرضاً ضخماً يطغى عليه الطابع الملحمي، ويجمع بين النحت والتجهيز، ويقدّم إلى المتلقي خبرة الشاهدة التي عاشت الحرب ومآسيها، وأحوال الموت والخراب التي أصابت المكان والإنسان.

هل هي شاهدة حربية على الحياد، جنان مكي باشو، أم صاحبة موقف صريح مما جرى ولا يزال يجري في لبنان والبلدان العربية المجاورة؟ تنطلق فكرة المعرض من الشظايا، لا لتكون محض وسيط تشكيلي وفنّي فحسب، بل لتصير فعلاً دينامياً مضاداً للعدوان، ومدعاة للافتخار والاعتزاز. الشظايا تتحول حيناً إلى كائنات تجريدية فذة، بأشكال ملأى بالحياة والحيوية، وتتحوّل في ذروة الاختبار إلى مجموعة تجسيدية من الأرزات، إذا كانت تعبّر عن دلالة وتومئ إليها، فهي تعبّر عن الكبرياء والكرامة، بترميزٍ فائق إلى ما تومئ إليه الأرزة من كينونة معنوية في الوجدان الجمعي للمواطنين. الفنانة في هذا المعنى، توجّه رسالةً مفادها أن فنّ الموت يمكنه أن يصير فنّاً مضاداً للموت، إذا عرف الفنان كيف يجعل الترميز في خدمة قضية ما، من دون أن يُفقِده متانته التشكيلية النحتية، ودلالاته الأسلوبية ذات الشأن.

أتجوّل بين أرجاء المعرض، الذي أرى أنه ينقسم إلى قسمين رئيسيين، فأشعر بالقوّة في الجزء الأول، لا من جرّاء الحديد الذي تستخدمه النحّاتة في عملها، بل خصوصاً من جرّاء صلابة الروح التي تمثل وراء هذه الأعمال، والتي تتجلّى في الرهبة التي تشيعها الأعمال في العين والقلب. إنها تلك الصلابة المستميتة في تظهير الإرادة التي تعتزم الوقوف في وجه آلة الخراب الشامل، وفي تحدّيها، وفي الانتصار عليها.

أن نكون شهوداً مضادّين للحرب والعنف والظلام والقتل والإرهاب والتكفير؛ هذا هو الموقف الذي أستخلصه من معرض جنان مكي باشو. وإذا كان المعرض في شقّه الأول يتوجّه برسالة تحدٍّ إلى العدوّ الإسرائيلي، فإنه في شقّه الثاني يخاطب عدوّنا الداخلي المتمثل في الإرهاب والتكفير. تعكف الفنّانة في هذا الجزء على تصنيع تجهيزات حربية مختلفة، ونشرها على منبسط من الرمل: من الدبّابة، إلى المدفع، إلى عربة المدفع، إلى عربات نقل الجنود، إلى الدرّاجات النارية التي يستخدمها المسلّحون والإرهابيون، لتنتقل إلى مراكب المشرّدين والمهاجرين والتائهين على بساط من الأزرق البحريّ يومئ إلى الماء، فإلى أنواع الأسلحة من بنادق وصواريخ وقنابل وسكاكين وخناجر وسيوف.

لن أنسى السبايا، ولا الأقفاص – السجون، ولا الجلاّدين، ذلك كلّه على شكل دمى حربية، الغاية منها التنديد بالحرب والقتل والإرهاب والتكفير، وإبراز البشاعات غير الموصوفة، من قطع الرؤوس إلى أعمال الشنق، إلى الرمي بالرصاص، في إعدامات ميدانية، تجعل المعرض ساحة حرب عربية بكل ما في الكلمة من معنى.

تؤدي الصالة الجليلة هنا دورها الدرامي الممتاز، لأنها تصير جزءاً لا يتجزأ من مشهدية عالم المعرض. حتى لكأننا نخرج من مكان الصالة إلى أرض المعركة بامتياز. لا نعود في صالة للعرض. إننا "ننتقل" إلى ساحة حرب حقيقية، كلّما فيها ينبئ بالخبر اليقين. في ساحة الحرب هذه، "حضارةٌ" ممتازة هي حضارة القتل، وأسيادٌ ممتازون هم أسياد الهمجية الجديدة. هنا "الداعشيون" من كلّ نوعٍ وجنس، يحتلون المشهدية الملحمية، ويصنعون المسرح. إنهم آلهة عصرنا العربي الحديث.

أيّ جهدٍ تشكيليّ وحِرَفيّ وتقنيّ مضنٍ، هو هذا الجهد الدؤوب، الهادئ، المتواصل، الصَّبور، الجَلود، الذي بذلته الفنّانة لإنجاز هذا المعرض؟! إذا كان ينبغي لي أن أعكف على التفاصيل التقنية والأسلوبية التي ينهض عليها العرض، فيجدر بي أن أهيئ سجلاً حافلاً ومثيراً للعجب في هذا المجال. يكفي أن أنوّه بالفوارق التشكيلية "البسيطة" التي تتيح للمتلقي التمييز بين شخص الجلاّد وشخص الضحية، بين القتيل والقاتل، على سبيل المثل، لأصل إلى الاستنتاج أن مثل هذا الجهد التفصيلي، وغيره كثير، يحتاج إلى جيش من العاملين. من الضروري أن ألفت القارئ إلى أن الفنّانة لم تستعن بمساعدين أو بحدّادين، لينجزوا لها هذه التفاصيل، بل تولّت هي بيديها، وبيدي زوجها، تنفيذ الأعمال التي تبدو في المجمل ذروةً مشهدية سينوغرافية وسينمائية قيامية.

ليس من إدانةٍ للحرب والقتل والتكفير والإرهاب أقوى من هذه الإدانة النوعية. في مواجهة "حضارة" الموت، تقدّم لنا الفنّانة الأصيلة حضارةً مضادة هي حضارة الحياة بالنحت والتجهيز. شكراً.

akl.awit@annahar.com.lb